محاذير عربية حول المصالحات الإقليمية

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

بدأت منطقة الشرق الأوسط تدخل في عملية تفكيك مقصودة لبعض الأزمات والخلافات العربية – العربية، وتحريك الموقف مع عدد من دول الجوار في اتجاه مصالحات سياسية، وهو ما يتزامن مع تراجع الولايات المتحدة عن التفاعلات الساخنة، وخوفها من استغلال التوترات من قبل قوى كبرى منافسة يمكن أن تتسلل عبرها إذا ارتخت قدرة واشنطن عن ضبط جوانب من توازناتها في إدارة الصراعات.

يربط البعض من المراقبين بين التفكيك والتحريك وبين التقديرات الأميركية الجديدة، ما يوحي بوجود شعور احتمال بأن واشنطن تريد فرملة بعض الأزمات قبل عزوفها وتشجع على تذويبها، أو أن أحد محركات الخلافات الإقليمية الرئيسية رفع يديه عن تغذيتها، أو أن هناك إنهاكا عاما حدث يستدعي تخفيض درجة السخونة في ظل ما أحدثه التشابك في المشكلات من تداعيات على الكثير من دول المنطقة.

من يراقب تطورات أزمة سد النهضة يتيقن أن ثمة تزامنا مقصودا، وأن جهة ما أو أكثر تلعب دورا مهما في تحريك الأمور نحو ترطيب الأجواء والبحث عن صيغة لتغليب الحوار على الصدام

بدأت الحلحلة مع قمة العلا الخليجية في يناير الماضي، وعلى إثر تداعياتها تم تجاوز مقاطع مهمة في الأزمة العربية المحتدمة مع قطر، وعاد الدفء إلى علاقات الدوحة مع رباعي دول المقاطعة، مصر والسعودية والإمارات والبحرين، وبعدها شرعت تركيا في قطع خطوات كبيرة مع دول الرباعي.

وأخذت واحدة من الصفحات تُطوى سريعا وتمهد الطريق أمام تليين المواقف في أزمات نجمت عنها وأدت إلى تدخلات سافرة في الشؤون الداخلية لبعض الدول العربية، فقطر كانت عنصرا مشتركا في الكثير منها، ما يؤكد أن هناك رغبة سياسية لدى أطراف إقليمية لإعادة الحسابات السابقة بشكل يميل نحو التهدئة.

ينسحب استنتاج قطر على ما تشهده العلاقات بين إيران والسعودية من حوارات في أماكن مختلفة، ولم تكن قمة الشراكة والتعاون التي عقدت في بغداد مؤخرا بعيدة عن هذا السياق من التصرفات، حيث حضرتها قوى عربية وإقليمية عدة، ويكفي عنوانها (الشراكة والتعاون) لفهم الهدف من القمة.

ولم تكن الحكومة العراقية تجرؤ على عقدها بكل ما توافر لها من زخم سياسي دون الحصول على مباركة واشنطن، بما يصب في مسألة الربط بين انسحابها التدريجي وبين التحولات الجارية في المنطقة لحلحلة الخلافات التي تجري قسماتها حاليا.

من يراقب التطورات التي طرأت على أزمة سد النهضة الإثيوبي وتميل أيضا نحو التهدئة يتيقن أن ثمة تزامنا مقصودا، وأن جهة ما أو أكثر تلعب دورا مهما في تحريك الأمور نحو ترطيب الأجواء والبحث عن صيغة لتغليب الحوار على الصدام بشكل يجد تجاوبا مباشرا وغير مباشر معه بما يشبه الاتفاق الضمني في النأي عن التصعيد.

كما أن الحرب على قطاع غزة في مايو الماضي جرى وقفها بعد أحد عشر يوما فقط، وهي مدة قصيرة بالمقارنة مع الحروب السابقة، ووجدت الوساطة المصرية دعما لافتا من جانب الإدارة الأميركية التي تخلى خطابها الحاد نسبيا مع كل من القاهرة والرياض وأنقرة وطهران عن الكثير من ملامحه التصعيدية التي ظهرت قبيل تسلم الرئيس جو بايدن مقاليد السلطة في واشنطن.

لعل رفع درجة حرارة التواصل بين القاهرة وتل أبيب لا ينفصل عن معادلة التغيير الحاصلة في المنطقة، بما يضمن توسيع مساحة القواسم المشتركة بين دول عربية عديدة وإسرائيل التي يمكن أن تهيئ الأجواء أمام استيعابها بطريقة ديناميكية وبعيدة عن الهبوط المفاجئ من خلال قطار التطبيع الذي شهد تطورات العام الماضي ثم توقف في محطة لم يستطع أن يتقدم بعدها أو يعود إلى سابقتها.

ناهيك عن سوريا التي تتحول إلى شريك في تخفيف معاناة لبنان مع أزمة الوقود من بوابة اتفاق يشملهما ومصر والأردن، وهي مسألة لم تكن تخرج إلى النور إذا لم تجد قوة دفع أميركية من الخلف، ما ينطوي على إشارة بعد استبعاد استيعاب سوريا في النظام العربي، وقد تفضي مع تحركات أخرى بعودتها قريبا لشغل مقعدها في الجامعة العربية، وخلط أوراق دولة مثل روسيا استثمرت في عزلة دمشق العربية.

قد لا تسير التطورات على هذا القدر من الدقة، لكن في مجملها تشير إلى وجود هندسة سياسية جديدة لأوضاع المنطقة، سواء وقفت وراءها كلها الولايات المتحدة أو بعضها أو نبعت من تصورات تتعلق بدولها، ففي كل الحالات هناك تغيرات تجري في الشرق الأوسط توحي بأن خارطة التوتر تتجه نحو الانحسار، ولا تميل بالضرورة إلى انتظار حدوث تسويات نهائية للأزمات المتفاقمة.

يلعب الإنهاك الذي حل بالكثير من الدول العربية وغير العربية دورا في تقبل التهدئة والتجاوب مع بعض تفاصيلها، ولا يعني ذلك أن مشروع إيران في المنطقة سيتوقف وتتخلى عن هيمنتها على كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن وأطماعها في الخليج.

ولا يعني أيضا الدخول في حوارات عربية مع تركيا أنها باتت دولة طبيعية تحترم القوانين الدولية وسوف تنسحب من العراق وسوريا وليبيا بسهولة، وتتنصل من مشروع الهيمنة على المنطقة، أو إسرائيل أصبحت محبة للسلام وعلى استعداد للقبول بتسوية عادلة للقضية الفلسطينية وضمان عدم قيامها بتجاوزات وانتهاكات مختلفة.

يشير المغزى من المعطيات لوجود حرص على التقاط الأنفاس ومحاولة كل طرف ترتيب أوراقه بالصورة التي تمكنه من تعظيم مكاسبه وتقليل خسائره، فالمشاهد المتناقضة التي خيمت على دول المنطقة وتحديدا في علاقات بعض الدول العربية مع دول الجوار لن تنتهي بعقد قمة أو محادثات والوصول إلى مرحلة متقدمة من التطبيع، لأن التوجهات المختزلة تحمل ملامح تباعد لا يسمح بتجسير الهوة تماما.

وتوجد مجموعة محاذير تمنع بلورة المصالحة في مشروع إقليمي تلتف حوله دول المنطقة، منها أن البوادر الراهنة تعتمد على تحويل التهدئة إلى هدف في حدّ ذاته والقفز على عوامل أدت للتوتر، وعند البحث في الأسباب والدوافع التي أفضت إلى كثير من المشاهد القاتمة قد تتكسر أو تتعطل الرافعة التي تعتمد عليها التهدئة وأن السبيل الوحيد للاستمرار القفز عليها، وهو ما تريده تركيا حاليا في تطبيع علاقاتها مع مصر.

إذا كانت عملية القفز تحدث في بعض الأزمات، كما حصل بين القاهرة والدوحة، فهذا يضمن تكرارها بنجاح بين الأولى وأنقرة، لذلك توجد محاذير تتحكم في حدود التقدم، وما لم تتم إزالتها عبر حلها رضائيا فقطار المصالحات الذي انطلق من محطات متباينة سيتعطل وتعود المنطقة لحالتها الصراعية التي جبلت عليها منذ قرون طويلة.

كيف أعاد الدبيبة تعريف نفسه

علي الصراف
كاتب عراقي

لم يكن عبدالحميد الدبيبة رئيس "حكومة الوحدة الوطنية الليبية" بناقص قواه العقلية عندما اتهم تونس بتصدير الإرهاب إلى ليبيا. فهو نفسه بالكاد أفلت من بين أصابع منظمات الإرهاب الليبية وما يزال من الممكن أن يكون ضحية لها في أي وقت. بل إن اشتباكاتها الأخيرة في طرابلس أعادت تذكيره بما كان يتعين عليه أن يعقله.

ولكنه أعاد تعريف نفسه عندما هاجم تونس بلغة "ثوار ليبيا".

الدبيبة أراد فقط أن يُبعد عن نفسه أشباح الإرهاب الداخلية ليحمي نفسه منها. فلو أنه اعترف بوجود تنظيمات إرهابية في بلاده، فإنه يعرف ماذا ستكون العاقبة. وبما أن تونس بلد لا يشكل تهديدات شخصية لأي أحد، فإن إلصاق تهمة الإرهاب بها يمكن أن يمر من دون عواقب خشنة.

مع ذلك فقد أتقن الدبيبة قول شيء والتنصل منه، في دلالة على أنه صار يجلس على مقعده جيدا. فتلك مهارة لا يملكها إلا الراسخون في الكرسي.

تاريخ ليبيا مع الإرهاب فصلٌ فضيحة اندلع منذ أن حاول الفرع المصراتي للجماعة أن يستولي على ليبيا ومنه اتسعت ثقافة أن تكون لكل عشيرة عصابة ولكل عصابة ثورة حتى غمرت البلاد بالفوضى

اتهم الدبيبة تونس بأنها هي مصدر الإرهاب في بلاده، حتى لكأنها أرسلت مرتزقة، أو حتى لكأن لها تنظيمات ثوار مسلحة تتبع أجندات خاصة بها، أو لكأن لها ميليشيات تتصارع على السلطة، أو لكأن جماعة الجماعة الخاصة بليبيا عاجزة عن تفريخ مسلحين يتسللون منها، بما حملوا من أسلحة، إلى داعش والقاعدة.

تاريخ ليبيا مع الإرهاب فصلٌ فضيحة اندلع منذ أن حاول الفرع المصراتي للجماعة أن يستولي على ليبيا. ومنه اتسعت ثقافة أن تكون لكل عشيرة عصابة، ولكل عصابة ثورة، حتى غمرت البلاد بالفوضى.

ما كان يحسن بالدبيبة أن ينبري للدفاع عن هذا التاريخ بنكرانه. وما كان له أن يلقي بأحماله على ظهر تونس. فهذا بلد لا تاريخ له مع الإرهاب، إلا بعدما قعد الفرع ذو الوجهين للجماعة مقعد النفوذ والتفشي.

وليس مما يغرب على أحد أن لهذا الفرع إخوانا في كل مكان. يتداعون له إذا ما ضاقت عليه الأحوال، أو فقد نفوذه. فكان القول إن هناك 100 مسلح موجودين في قاعدة الوطية التي يسيطر عليها الأب الروحي للجماعة بكل إخوانها، مستعدون لشن هجمات في تونس انتقاما لما خسره أقرانهم. وكان من الطبيعي لتونس أن تخشى، وهي الجريحة، من طعنات جديدة يوجهها الإرهاب لاقتصادها المنهك. مجرد الإشاعة تثير الخوف في تونس. فكيف إذا كان لها ما يثبتها من ذئاب تريد أن تملي على تونس ما عجز الأخ الأكبر أن يمليه بنفسه.

كل هذا والدبيبة يعرف أنه إذا فشل في أن ينجز استحقاقات حكومته، فلأن الجماعة لم ترض على ما يضطر على الأخذ به.

ولم يبق من عمر حكومته إلا نحو ثلاثة أشهر، لتجري انتخابات تعيد بناء السلطة وأسسها في ليبيا، إلا أن الذين لا يريدون لهذه الانتخابات أن تُجرى، هم أنفسهم الذين يريدون لقاعدة الوطية أن تحكمهم، فتهدد بذئابها من شاءت أن تهدد.

لم يرض الرئيس قيس سعيد أن يعقد اجتماعا بالرئيس رجب طيب أردوغان برعاية وسيط المنافع المتبادلة الرئيس عبدالمجيد تبون. على الأقل حتى ينجز الأسس التي يمكنها أن تمضي بتونس في طريق خارج دائرة الفوضى وثقافة الميليشيات السياسية التي هيمنت على البرلمان.

ولكنه يستقبل الدبيبة، احتراما لقواعد الجيرة، ولروابط جعلت من تونس رئة للهواء النقي، إذا أراد الليبيون أن يتنفسوه خارج بلادهم.

ولقد كان من مفاعيل ذلك الهواء النقي، أن انعقد ملتقى الحوار السياسي في تونس، وهو الملتقى الذي أسفر في النهاية عن اختيار الدبيبة رئيسا للحكومة.

خلل واحد، من طبيعة التلوث الإخواني، هو الذي دفع هذا الملتقى لكي يتم اجتماعاته في جنيف. حيث صار سعر الصوت يتراوح بين 200 و300 ألف دولار لكل مندوب ينحاز إلى مرشحي العصابة.

والمال فائض بين يدي أركان العصابة الذين رعوا سباقات الكواليس من وراء ظهر الرعاية الرسمية.

الرئيس سعيد كان يرى ما يحصل. ولعله كان يضرب كفا بكف ويردد "لا حول ولا قوة إلا بالله" عما انتهت إليه وسائل العصابة من تشويهات، وحبائل مؤامرة، ليس ضد ليبيا وحدها، وإنما ضد تونس. ذلك لأن وجود امتداد ميليشياوي مسلح لامتداد ميليشياوي غير مسلح لا يجعلهما إلا جيشا عقائديا واحدا يحارب في البلدين معا، بل وفي أي مكان.

لقد كان من الملفت أن يهاجم الدبيبة تونس باللغة نفسها التي استخدمها "قادة تجمع ثوار ليبيا".

هذا التجمع الميليشياوي المسلح، ليس سوى تنظيم لتنظيمات يعشعش فيها ما يعشعش. وهم "ثوار" قطعا، إلى درجة يمكنها أن تقلب حياة المواطنين في طرابلس جحيما إذا اختلف "القادة" على توزيع المؤن أو المنافع.

ولكن، وقبل أن تلاحظ في جمع المذكر السالم ما تجدر ملاحظته، فقد وجه الدبيبة سؤالا مثيرا، ومهما فعلا.

قال "بعض الدول الجارة اتهمتنا بأننا إرهابيون.. لكن العشرة آلاف إرهابي الذين دخلوا بلادنا من أين أتوا؟".

أما الجواب فيعرفه "الثوار" أنفسهم ذلك لأن لهم أخوة، ثوار أيضا، في تونس ظلوا يوصلون لهم المدد، بكل ما مدد، لنحو عشر سنوات.

الدبيبة يعرف ذلك. ولكنه يحكم ليبيا بما يفترض أن يكون عقلية رجل دولة لا عقلية رجل جماعة في الدولة.

آخر ما يحتاجه الدبيبة كرئيس لحكومة وحدة وطنية أن يضع "تجمع قادة ثوار" خلف ظهره. أو أن يتبنى لغتهم وأساليبهم. فهي لغة شوارع تعلمها الثوار في حروب الشوارع. وأساليبها ليست مما يقيم بلدا على قدميه.

يكفي لرئيس الحكومة الليبية أن ينظر إلى ما تحت قدميه. وسيرى أن "الثوار" كالمغناطيس يجذب بعضه بعضا. سوف يرى أن ليبيا إذا كانت تحتاج أن تعود لتكون دولة، فإنها تحتاج إلى رجال دولة.

تملك ليبيا الكثير من ثوار التطرف الميليشياوي، والقليل من رجال الدولة. وخيار الدبيبة الأمثل، هو أن يجرهم إليه، لا أن يجروه إليهم فتعود "الوحدة الوطنية" التي يقود حكومتها لتسقط من جديد.

ولكنه ما يزال لا يمتلك الجرأة. ما يزال يتخاطب مع تونس بلغة "الثوار"، ليقول "بعض الدول الجارة اتهمتنا بأننا إرهابيون"، ونسي أنه رئيس حكومة، وأن أحدا لم يتهمه قطعا، ولكنه جمع نفسه مع ما لا يصح أن يُجمع به، فأعاد تعريف نفسه.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk